

حديث الرئيس العماد ميشال عون إلى موقع "مرحبا لبنان" * على الإنترنت ٥ كانون الثاني ٢٠٠٣

* مرحبا لبنان هو موقع من مواقع التيار الوطني الحر في أستراليا: www.marhabalubnan.org

- ما هي قراءتك الجديدة على ضوء الأحداث المتسارعة في الشرق الأوسط؟

أعتقد أن القراءة لم تتغير، ولكن عندما يكون هناك قراءة من دون وقائع تساندها على الأرض فإن الناس تشكك، وفي مطلق الأحوال فإن القراءة التي قمنا بها بعد ١١ أيلول تتأكد حالياً على الأرض كل يوم أكثر من الآخر، وأعتقد أن مرحلة الانتظار وصلت إلى نهايتها، وسوف تُترجم بأعمال في القريب.

- ما هو مصير لبنان في الإصهار القادم على المنطقة؟

- مصير لبنان هو ما يحضره اللبنانيون، نحن كتيار وطني حرّ حاولنا دائماً أن نشكل أرضية صالحة للتغيير، ونجحنا في ذلك، فإذا حصل التغيير سنكون الأرضية الصالحة له، وخاصة في حال حصول التغييرات الخارجية، نحن لا نخشى على مستقبل لبنان طالما أننا نستبق بتفكيرنا وبتصرفاتنا الأحداث، وعليه فقد جهّزنا أنفسنا للمراحل الصعبة، وليس كالبعض الآخر الذي لا يزال غارقاً في الماضي، مثل السلطة التي تعتقد أنها إذا أقفلت التلفزيونات ومنعت الناس من الاستماع إلى الأخبار، وفرضت الحظر الإعلامي على الشخصيات، وساعدت على إشاعة أجواء الخلل الأمني كي تظهر حاجة لبنان إلى سوريا، فهي تعتقد أنها ستوقف خط الأحداث هذا، بينما الواقع هو عكس ذلك، لأن كل هذه الأمور تعجل خط التغيير وتساعده.

- نحن لسنا من القوى الفاعلة الموجودة على الأرض كالسلطة التي بيدها القوة ...

- أي قوة؟ دولة لا يمكنها أن تحفظ الأمن، ولا يوجد تفاعل بين عناصرها وأجهزتها بل تناقض، الوحدة الوطنية مفقودة، الأمن مفقود، والوضع الاقتصادي هزيل... كل هذه الأمور لا تشكل مقومات دولة قادرة على الاستمرار، هي مستمرة حالياً لأن لا أحد يريد إزاحتها، وليس لأنها تملك القدرة على الحياة، فعندما تحدث التغييرات لن يريد أحد أن يحافظ عليها "ساعتها بدها تهرّ غصباً عن الطبيعة"

- ترى أن التغييرات الأمنية ستؤثر على لبنان وتركيبته السياسية؟

- ليس على لبنان فقط بل على كل العالم، فلن يكون أحد بمنأى عن التغيير وعن النتائج التي سنترتب على هذه المعركة.

- هل تعتقد أن النظام السوري يستطيع أن ينقذ نفسه من هذه المعركة عبر تجديد ذاته واتباع سياسة باطنية يتقنها جيداً؟

- لا يوجد سياسة باطنية، فعندما يقولون ديمقراطية فالديمقراطية لها أصول، وأصولها واضحة وظاهرة وليست باطنية، بالإضافة إلى أنها ليست وعوداً بل سلوك عملي. وإذا قالوا انفتاح اقتصادي فسيترجم بتنقل الأموال والبضائع من وإلى سوريا، وإذا قالوا حريات عامة فسيترجم بوسائل الإعلام، وإذا قالوا انسحاباً من لبنان فعليهم أن ينسحبوا من لبنان... القصة لم تعد إذا قصة وعود أو حالة انتظار، المرحلة مرحلة تغيير ومن يقدر على الهرب من التغيير فليفعل. وباعتقادي أن النظام السوري غير قادر على التغيير لأنه قائم أصلاً على الدم وعلى النار وعلى القتل، وعندما سنترسخ الديمقراطية فهو سيكون أول من سيدفع ثمنها لأنها ليست من طبيعته، وهو من سيرحل لأن الناس ستحاسبه أولاً، ولا أعتقد أن بشار الأسد أهم من غورباتشوف، الذي قام بسياسة انفتاح وغير النظام في الاتحاد السوفياتي، فقالوا له "شكراً، فأنت ابن النظام الماضي، روح مع السلامة" وأعتقد أن هذا ما سيحصل في سوريا لأن سوريا لن تستطيع تجديد ذاتها، فالنظام الحالي لا يستطيع أن يواجه شعبه بالديمقراطية إذ لديه الكثير من الاستحقاقات الواجب عليه دفعها، والكثير من الأسئلة التي لا يمكنه الإجابة عليها.

- في ٢٨ كانون الأول ظهرت افتتاحية في "النيويورك تايمز" تقول بأن العلاقات السورية الأميركية جيدة جداً، فهل تعتقد أن هذا الكلام صحيح؟ وإلى ماذا أدى عمل التيار الوطني الحر في الولايات المتحدة خلال عام ٢٠٠٢، وقانون محاسبة سوريا الذي يبدو وكأنه توقف؟

- في "النيويورك تايمز" آراء مختلفة، وهذا القول حملة مقال واحد، في كل الأحوال إذا كان بعض المسؤولين في الأجهزة الأمنية مسرورين من سوريا لأنها تبيعهم بعض المعلومات فهذا طبيعي، ولكنهم ليسوا هم من يصنع القرار السياسي الأمريكي. ثم، إن الهدف الحالي للسياسة الأميركية ليست سوريا بل العراق، وليس من الضروري أن يتحدثوا عن سوريا إلا بقدر ما يريدون المحافظة على جو توجيهي معين تجاه سوريا، وهو قطعاً ليس توجه مقال "النيويورك

تايمز". إن من يوجّه السياسة الخارجية هو الخارجية الأميركية والرئيس الأميركي، والإثنان قد وضعوا سوريا والمؤسسات لديها على لائحة الإرهاب، فلا تخطوا بين المناورة الإعلامية وبين الموقف السياسي الحقيقي، الموقف السياسي الحقيقي يقول بأن سوريا هي دولة إرهابية، ولكن الموقف الإعلامي، ووفقاً للمصلحة الآنية، يتأرجح بين الترغيب والتشجيع والقسوة، ولكن كل ذلك لا يؤثر.

أما في ما يتعلق بقانون محاسبة سوريا، فبعدما تأجل البت به أصبح بحاجة إلى تعديل بعض موادّه لأن ما سينتج بعد حرب العراق سيلغي بعض المواد الواردة فيه، وقد لا نضطر إطلاقاً لإعادة طرح القانون لأن الأحداث قد تكون تخطت بنتائجها ما هو مطلوب من القانون.

- هل أفاد هذا القانون سياسياً الوجود اللبناني والكيان اللبناني في المحافل الدولية؟

- طبعاً، فكل العمل التحضيري والضروري للعمل السياسي وجّد، ودار حوله النقاش في اللجنة الخارجية، والملف عن وضع سوريا ومخالفاتها وعما فعلته في لبنان أصبح جاهزاً وضخماً جداً، ويمكن استغلاله حتى بدون قانون. المسألة كانت طرح موضوع لبنان، وفي كل الأحوال فإن الولايات المتحدة لا تعالج كل المشكل بواسطة قوانين، نحن حاولنا أن نشكل ضغطاً على الخارجية بواسطة القانون كي نعطي أولوية، ولكن ليست كل سياسة الولايات المتحدة قائمة على قوانين بل على ملفات، كالملف الذي استطعنا تكوينه بشأن لبنان، لذلك فإن هذا العمل كان مهماً جداً من أجل لبنان، وهو يتم للمرة الأولى في الولايات المتحدة.

- هل يستطيع النظام الحاكم في لبنان أن يعتمد على النظام السوري كي يؤمّن له الغطاء في الإغصان القادم إلى المنطقة، أم أن سوريا لن تتردد في التضحية به؟

- السؤال هو هل يستطيع سوريا الاعتماد على ذاتها في هذه الإغصان؟ فسوريا هي من يبحث عن غطاء، ولكن بعض اللبنانيين من شدة الضغط وأيضاً بسبب عمالة قسم منهم، أصبحوا يعتقدون أن دمشق هي محور العالم، تماماً كما كان علماء الفلك قبل "كوبرنيك" يعتقدون أن الأرض هي الثابتة وهي المحور وأن الفلك يدور حولها، حتى بعد مئة سنة جاء غاليليه وثبت نظرية كوبرنيك وكروية الأرض، وأنها تدور حول الشمس وليس العكس. فعلينا اليوم أن نقنع اللبنانيين بأن العالم لا يدور حول دمشق لأنهم يعتقدون أنها محور العالم وأنه يدور حولها، فإذا صوتت دمشق في الأمم المتحدة فدمشق معها حق، وإذا انسحبت من الأمم المتحدة فمعها حق، وإذا ذهب بشار الأسد إلى لندن فإنه سيغيّر سياسة إنكلتره، سوريا تبحث عن ذاتها كي تحمي نفسها وكي تجد لها دوراً، وكي تعرف إذا ما كانت باقية بعد هذه الأزمة أم لا، هي لا تستطيع أن تحمي نفسها ولا أن تحمي أحداً، هي بحاجة لمن يحميها، ولكن دائماً الطفل الصغير يعتقد أن والده يستطيع أن يحميه من الإغصان ومن الزلزال ومن كل شيء، وهكذا بعض اللبنانيين يعتقدون أن سوريا قادرة على حماية لبنان بينما هي غير قادرة حتى على حماية ذاتها.

- في ضوء التعليقات السياسية الإسرائيلية والتهديدات هل تعتقد أن إسرائيل قادرة حالياً على ضرب لبنان؟

- لا شك أن الجو على الحدود اللبنانية الإسرائيلية ضاغط جداً وحامٍ، ولكن رغم ذلك فإن وضعه الحالي لا يشكل سبباً للانفجار، وفي الوقت نفسه هو غير مقبول، فإلى متى الأطراف القادرة على التحرك ستبقى ساكنة عن هذا الوضع غير المقبول؟ وإن كان ليس هناك من مصلحة لإسرائيل بتقجيّره قبل حرب العراق، ولكن بعد تلك الحرب هل ستقبل إسرائيل باستمرار الضغط المهيمن حالياً في الجنوب؟ إسرائيل وحدها بإمكانها الإجابة على هذا السؤال، فما بين المناورة الإعلامية والمناورة السياسية التي يلجأون لها لا يمكننا أن نكون أكيدين بأن العمل العسكري سيحدث، أو أن المسألة ستبقى فقط ضمن إطار السياسة، ولكن هناك أمر أكيد هو أن حكم الزوال قد صدر على حزب الله العسكري، أما كيف سيتم ذلك فإن من اتخذ القرار هو من يختار الأسلوب القادر عليه.

- ملاحظ أن حزب الله خفف من عملياته العسكرية.

- لا علاقة لذلك بالموضوع، القرار هو أنه لن يسمحوا أبداً بحرية التصرف لأي طاقة غير ملتزمة بدولة، هذه مشكلة حزب الله ومشكلة كل الأحزاب التي لديها منظمات عسكرية، اللبنانيون يدافعون عن حزب الله كمقاومة، ولكن هذه ليست نظرة الطرف الآخر الذي يملك القوة، فهم يعتبرونه منظمة إرهابية، وبين هذين المفهومين تخلق المشكلة.

- بالحديث عن الوضع الداخلي في لبنان، بعد الـ MTV جاء دور الـ NEW TV فماذا بعد، وما رأيك بهذا الضغط، لا بل العنف الإعلامي في بيروت؟

- منذ ١٩٩٠ ولبنان يعيش في مسار انحداري، في السياسة وفي الاقتصاد وفي الإعلام وفي الأمن، انحداري في كل شيء، دولة القانون غير موجودة، هناك عصابات مافياوية، تتسلط على البشر، هناك مجموعات مسلحة، نقلوا ذهنية الميليشيا إلى الدولة ويحكمون بعقلية الميليشيا ويحميهم نظام سوري ديكتاتوري، يستفيدون وإياه من الحكم ويستغلون اللبنانيين، ففي ذلك الجو لا يعود بالإمكان الحديث عن المنطق وعن العلم، هذا جو لا يعترف إلا بالاستئصال، وما يهدئ

الناس قليلاً هو الظروف الإقليمية التي تبشر بالتغيير ولربما يطال حيز من هذا التغيير لبنان، وإلا فلن يتغير الوضع في لبنان إلا باستئصال النظام القائم لأنه نظام مجرم، نظام عصابات لا يحترم القوانين.

- ما تعليقك على محاولة اغتيال قاض على قوس المحكمة وقتل مجند لرفيقه في ثكنة عسكرية، فإلى ماذا تردّ هذا الانهيار؟

- الانهيار يعود لأن الدولة تعيش الفئوية بشكل تام، بعض الفئات تستقوي بها وتتال من الفئات الأخرى، وتريد في حجم الإرهاب لأن ذهنية الدولة ذهنية عصابة وليست ذهنية دولة قانون، فمثلاً قتلوا الجندي القاتل الذي ارتكب جريمة بدل أن يوقفوه ويحاكموه ويعرفوا خلفياته، لماذا قتلوه؟ لماذا لم يعرفوا خلفيات الجريمة ولماذا ارتكبت؟؟ ثم ما هي الخلفيات لمحاولة اغتيال القاضي؟؟ اختفت تماماً كما حصل في حادثة اغتيال القضاة الأربعة، هذه هي المرة الثانية في هذا العهد يتعرض فيها القضاة للقتل على قوس المحكمة وهذا أمر لا سابق له في لبنان... ثم جريمة اغتيال تحصل داخل ثكنة عسكرية.. ماذا يعني كل ذلك؟ يعني أن الفلتان موجود في الرأس وليس في القاعدة، فعندما يكون الفلتان في الرأس لا بدّ أن يصل إلى القاعدة.

هناك عدم كفاءة عند الحكم، عدم كفاءة أخلاقية، وعدم كفاءة وطنية، "والقصة فالتة، عصابات وداشرة"

- هذا يؤثر على المؤسسة العسكرية التي لطالما كانت مناقبية وأخلاقية؟

- من يرّبي هذه المؤسسة؟ من يرّبي العناصر الجديدة فيها؟ الجيش أصبح أداة بيد السلطة، المؤسسة العسكرية تضم عناصر ممتازة ولكن من يتحكّم بها؟ رؤوس مافايوية.

- بين خيوط اللعبة نرى المد الأصولي وقد وصل إلى لبنان وبدأت خلاياه تعمل في هدم التركيبة اللبنانية، لماذا قويت هذه الموجة في دولة المؤسسات اللحدوية، هل لأنها الموضوعة أم لوجود خلل في التركيبة السياسية؟

- هناك دولة لا يوجد فيها أي فكر، لذا يمكن لأي فكر آخر مستورد أن يدخلها، مثلاً قد يتساءل البعض لماذا يجب أن يكون المواطن اللبناني والعسكري اللبناني خادماً عند السوري، ولماذا يجب أن يكون لبنان مستعمرة سورية، لماذا لا يكون مستعمرة لأي دولة أخرى... فعندما يكون "الرئيس الجمهورية" ارتباطات غير وطنية، و"رئيس الحكومة" عميلاً لدولة أجنبية، "ورئيس المجلس النيابي" يتنكر لهويته، فلماذا تريد للمواطن العادي أن لا يكون لديه خيار آخر يشعر أنه ينتمي إليه؟؟ فطالما أن الانتساب الوطني غير موجود على مستوى رؤوس الدولة، فإن أي انتساب آخر يأخذه المواطن، سواء كان أصولياً أو غير أصولي، لا يعود مستغرباً.

لا يكفي أن تقول للناس "انتم ضد إسرائيل وضد أهداف إسرائيل" عليهم أن يعرفوا مع من هم ، اسألهم هل هم مع أنفسهم؟ هل من أحد يقول إنه مع لبنان، مع وطنه ومع هويته؟؟ أعطوا المواطن اللبناني جواز سفر ويهينون يومياً الهوية اللبنانية التي لم يعد لها أي قيمة.

رئيس الجمهورية يقسم اليمين ويكذب، ورئيس الحكومة كذلك، جميعهم يحتقرون الشعب اللبناني ويكذبون عليه. ما هو الرابط بينهم؟ لا يوجد أي رابط لا معنوي ولا مادي.

- هل تعتقد أن المسألة مسألة حضارية؟

- الشعوب والمؤسسات لا تُبنى إلا من خلال قيادة سليمة ومسوغات سليمة (leadership & motivation) أين القيادات في لبنان طالما أن أكبر زعيم يأخذ توجيهاته من عريف في المخابرات السورية؟ وأين الدوافع والمسوغات؟ هل هي في الدفاع عن ثروة الحريري وعن سوليدير؟ هل ستقول لمن يعيش تحت سقف الفقر "عليك أن تقطع ضريبة من راتبك وتعطيها..." لمن؟ للحريري؟ كل هذه الديون التي أغرق فيها لبنان ماذا أعطته من إنماء؟ لا شيء.. إذاً دولة لا تعطي مسوغات للمواطنين، وليس لها أي قيمة قيادية، فمن الطبيعي أن لا يكون وراءها شعب.

- هل هناك من خطة لإنقاذ المجتمع اللبناني من الهجمة الأصولية الإرهابية؟

- يجب تغيير الخطاب "الوطني" السائد، وتربية المواطن تربية إنسانية، ما هي التربية التي تُقدّم لهذا المواطن حالياً؟ حزب الله.. تكفير الناس..؟ خطاب النازية وما قامت به لم يعد بشيء أمام ما نسمعه اليوم على ألسنة الأصوليين، وأمام ما يقومون به ويدعون إليه، فعندما يكون هناك دعوات مفتوحة في وسائل الإعلام وتبشير في المدارس، ويتحدثون عن إفناء اليهود والنصارى بهذا الشكل المفضوح، فمن الطبيعي أن يكون لها تفاعلات سلبية.

يجب أن يكون هناك تربية إنسانية، وأن يبادر رجال الدين بالظهور على الإعلام وينقضوا هذه الأفكار، ويقولون بأن الله خلق الناس شعوباً وقبائل كي يتعارفوا، وبأن العنف هو للدفاع عن النفس وليس للاعتداء على الآخر، وأن لا إكراه في الدين، وأن هناك شورى في الحياة وديمقراطية... فإذا لم تحصل عودة إلى الأصول الدينية الحقيقية فإن المشكلة ستبقى قائمة، يجب العودة إلى الأصولية الدينية الإيجابية، إلى الأصولية التي تبني ولا تهدم الإنسان، فالأصولية في الإسلام كما أعرفها، تقول لا إكراه في الدين، وتحدث عن تعددية الشعوب وتعددية الإيمان لأن هناك مؤمنين ومؤمنات من غير المسلمين والمسلمات، وتعتمد الشورى... فعندما تعود إلى هذه الثوابت يعود التحابي بين الناس ويعود التقاهم،

ولكن عندما تدعو إلى العنف وتتهم كل من يخالفها الرأي بأنه كافر فعندها تقع المشكلة، وهذا الأمر يحصل ليس فقط على يد رجال الدين وفي الأصولية الدينية، بل طبقه في السياسة في لبنان، فكل من يخالفهم الرأي يصبح متصهيناً وعدو العرب وعدو المسلمين وحتى عدو الله... أناس جهلة وأعطوهم حرية الكلام والوسائل التي توصل كلامهم إلى كل البيوت.

- ألا يمكن أن يكون الموضوع سياسياً لتفتيت المجتمع اللبناني فيسهل بالتالي ابتلاع لبنان؟

- "سياسي ونص"، فمنذ زمن ونحن ننبه إلى هذه المسألة ونقول بأن سوريا هي من يمنع الحوار في لبنان، وتمنع اللبنانيين من التلاقي، كيف ننسى اغتيال المفتي حسن خالد وناظم القادري ورينيه معوض؟؟ جميعهم قتلوا لأنهم يريدون الكلام مع الطرف الآخر، والحوار ممنوع، فإذا كان الحوار ممنوعاً واللقاء ممنوعاً فما هو المسموح؟؟ العدائية مسموحة والتخاصم الدائم والقتل، كلها مسموحة وهي من نتائج الأخوة والصداقة، ومن نتائج السلم الأهلي. وعدونا بالسلم الأهلي، ويدعون كل يوم المحافظة على السلم الأهلي، بينما السلم الأهلي يبني على ثلاث مقومات: أولاً، يُبنى على الأمن، والقضاء يُغتالون على قوس المحكمة، ثانياً يُبنى على الازدهار، ولبنان مفلس ويشحذون المال، والمواطنون يهاجرون بسبب الضائقة الاقتصادية، وثالثاً يُبنى على الحريات، والحريات أنهيت بقرارات قمعية أفلت التلفزيونات وفرضت الرقابة الذاتية على الصحف. إذ لا الأمن موجود، ولا الازدهار، ولا الحرية، ويتحدثون عن السلم الأهلي وهم قد اغتالوا السلم والسلام.

- لاحظنا في الشهر الأخير من السنة أمرين بالنسبة للمعارضة، أولاً إنك توقفت عن الكتابة، وثانياً المعارضة الداخلية أصبحت باهتة جداً فما السبب؟

- الكتابة هي إحدى نشاطاتي وليست كلها، أوقفت هذا النشاط ولكني أكملت بغيره، دائماً لدي محاضرات ولقاءات مع التيار في لبنان، بالإضافة إلى أننا نتابع نشاطنا الإعلامي بواسطة موقعنا على الإنترنت، ونؤسس حالياً لإذاعة. وقد بدأ الشباب يكتبون، وفتحنا المجال في التعبير وممارسة الكتابة لأكثر عدد ممكن. نشاطنا لم يتوقف، وليس بالضرورة أن يكون مرتبطاً بشي شخصياً. ثم من ناحية أخرى فأنا كلما قمت بتصريح أفسح مجال العمل لجوقة بيروت، لذا قرّرت أن أريحهم وأعطيتهم فرصة على الأعياد لأنهم موجودون ضدي وليسوا موجودين مع أي شيء آخر، كل الزعماء الموالين والذين يعتبرون أنفسهم معارضين وجودهم مرتبط بكونهم ضدي وليس ليفيدوا بشيء، موجودون فقط كي يردوا عليّ، وصمتي اليوم لراحتهم.

- والشق الثاني من السؤال، عن المعارضة الداخلية الباهتة؟

- لقد كانت دائماً باهتة واحتوائية، طالما أن همها في النهاية أصبح التصدي لميشال عون، ومعارضة من هذا النوع، احتوائية كما سبق وقلت عنها، لا تعيش، وهي اليوم قد ماتت، لقد قلت لهم في السابق أنهم لا يمكنهم أن يقوموا بمهمة الاحتواء، وأنه يجب أن يكون لديهم فكراً أصيلاً وقضية، ليس لديهم قضية بل معارضات موسمية بحسب العرض والطلب المقدم، مثل الاشتراك في الحكم أو التقرب من الحكم أو الخدمات... معارضة كهذه لا تعيش في الظروف القادمة على الوطن، اليوم هناك شيء أساسي تتبع منه كل السياسات وهو القرار، يجب أن نستمر في النضال من أجل القرار الحر، من أجل استعادته، كي نتمكن من إعادة تقويم الوضع الاقتصادي والأمني، فمن دون القرار الحر سيبقى التلاعب بالوطن، الوضع اللبناني يشبه تماماً لعبة بيد طفل صغير يلهو بها كما يشاء. والسياسيون الموجودون لا يستطيعون أن يتصوروا أنهم قادرون على استرجاع القرار الحر، أو حتى لا يجروون على المطالبة باستعادته، لذلك يبحثون دائماً عن فتاوى وعن أهداف أخرى، وعن طرق للتراجع واللف والدوران على الناس، وهم في الحقيقة يطلبون فقط أن يكون لهم صحن على مائدة طعام الدولة.

- ألهذا السبب انتهوا؟

- انتهوا، نعم، فما الفرق بينهم وبين اللقاء التشاوري؟ بدأوا بكومة قش، أشعلوا فيها النار وانتهت، لم يستطيعوا أن يعطوا الحرارة لمدة طويلة وكافية.

- هل تبشّرنا بشيء لعام ٢٠٠٣؟

- الأحداث القادمة هي التي ستحدث عن نفسها، فما تحدثنا عنه منذ زمن سيتم الآن، وعندما تبدأ سلسلة التغيير في الشرق الأوسط فلن نتوقف، تماماً كلعبة الدومينو.

- هل ستتأخر باعتقادك؟

- لا، فالقصة قصة أسابيع ربما أيام.